

خدمة يمكن لمخططاتهم ان تحلم بها . وهكذا فقد سارت المخططات الصهيونية الرئيسية على خطين متوازيين : من جهة : التحالف الى اقصى حد مع البريطانيين ، حتى ان المؤتمر العشرين للحركة الصهيونية الذي عقد في صيف ١٩٣٧ ابدى استعداداه لقبول التقسيم من خلال المهادنة مع بريطانيا والاصرار على تجنب الصدام معها ، وذلك لفتح للامبراطورية الاستعمارية قمع الثورة العربية التي تجددت في ذلك الصيف . ومن جهة أخرى تعبئة التجمع الصهيوني الاستيطاني داخليا تعبئة متواصلة ، تحت الشعار الذي أطلقه بن غوريون آنذاك ، والذي ينادي بـ « لا بديل » ، وارساء قواعد المجتمع العسكري ، وادواته الحربية والاقتصادية .

وقد كانت مسألة الاصرار على مهادنة البريطانيين الى اقصى مدى ، بالرغم من ان هؤلاء قاموا بخطوات خفضوا فيها الهجرة اليهودية مثلا ، مسألة مركزية في تاريخ السياسة الصهيونية في تلك الفترة ، ورغم انه كان يوجد في داخل الحركة الصهيونية جهات ترفض ما كان يسمى بـ « ضبط النفس » ، الا ان اصوات الاقلية هذه لم تستطع ان تؤدي الى نتيجة ، فقد كان القانون الذي يسوق خطوات الحركة الصهيونية في تلك الفترة هو ذاك الذي لخصه وايزمن بقوله : « هناك تماثل مصالح نام بين الصهيونية وانجلترا في فلسطين » . وخلال هذه الفترة أدى التعاون والتداخل بين هذين الخطين ، التحالف مع الانتداب الى اقصى مدى وتعبئة التجمع الاستيطاني اليهودي ، الى نتائج خطيرة للغاية : فقد انتهزت البورجوازية اليهودية انتشار الثورة العربية لتنجز الكثير من المشاريع التي لم يكن يوسمها ان تنفذها في ظروف مغايرة . واذ تحررت هذه البورجوازية ، فجأة ، من منافسة المنتوجات الزراعية العربية التي كانت رخيصة الثمن* فقد راحت تنصرف الى تنمية وجودها الاقتصادي ، ومن الطبيعي انه لم يكن من الممكن تنفيذ ذلك دون البركة البريطانية . ففي فترة الثورة نجح الصهاينة

وثائق اخرى(١٠٢) ويثبت هذا الاحصاء انه في عام ١٩٣٦ قتل ١٢٠٠ عربي وقتل ١٢٠ في ١٩٣٧ و١٢٠٠ في ١٩٣٨ و١٢٠٠ في ١٩٣٩ ، كما تم اعدام ١١٢ عربيا وقتل ١٢٠٠ عربي في عمليات ارهابية مختلفة ، وذلك يجعل عدد القتلى العرب في ثورة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ حوالي ٥٠٣٢ قتيلاً وعدد الجرحى في الفترة نفسها ١٤٠٧٦٠ عربياً* . اما اعداد المعتقلين فقد بلغ في ١٩٣٧ حوالي ٨١٦ وفي ١٩٣٨ حوالي ٢٤٦٣ معتقلاً وفي ١٩٣٩ حوالي ٥٦٧٩ معتقلاً . ويمكن فهم المعنى الحقيقي لهذه الارقام من خلال المقارنات . فبالنسبة لعدد السكان فان خسائر الفلسطينيين البشرية بين ٣٦ - ٣٩ توازي خسارة البريطانيين لـ ٢٠٠ الف قتيل و٦٠٠ الف جريح ومليون و٢٢٤ الف معتقل ، اما بالنسبة للاميركيين فانها توازي مقتل مليون اميركي واصابة ٣ ملايين بجروح واعتقال مليون و١٢٠ الف مواطن ! على ان الخسائر الحقيقية ، والاكثر خطراً ، كانت في ذلك النمو السريع لاسس الوجود الاستيطاني الصهيوني في فلسطين ، عسكريا واقتصاديا . وليس من المبالغة بشيء القول بأن ذلك الوجود الاقتصادي والعسكري ، والذي تزايد ارتباطه بالامبريالية وعبر عن نفسه بكتافة في ١٩٤٨ كان قد ارسى قواعده الرئيسية في هذه الفترة الممتدة بين ١٩٣٦ و١٩٣٩ . ويذهب احد المؤرخين الاسرائيليين الى حد الاقرار بأن « ظروف الانتصار في ١٩٤٨ كانت قد خلقت ابان فترة الثورة العربية (١٩٣٦) » (١٠٣) .

ان السياسة العامة التي اتبعتها الصهاينة في هذه الفترة يمكن رؤيتها في قرارهم العميق بتجنب انشاء اي تناقض بينهم وبين سلطة الانتداب البريطاني ، حتى حين كان هذا الانتداب ، تحت وقع ضربات الثوار العرب ، يضطر الى تجاهل بعض المطالب الحيوية للحركة الصهيونية . وكان الصهاينة يعرفون كما يبدو انهم اذا هياؤا للبريطانيين ، الذين كانوا يعودون في تلك الفترة اقوى واعنى جيش استعماري في العالم ، اذا هياؤا له فرصة سحق الثورة العربية في فلسطين ، فانه يكون قد قدم لهم تلتانيا اكبر

* لناخذ على سبيل المثال الاجور في زراعة الحمضيات وهو المنتوج الاول الزراعي في فلسطين ، فقد أقر المجلس الزراعي العام في ١٩٣٦ ان اجر العامل اليهودي سنويا للدونم الواحد ١٢ ج اما العربي فـ ٨ ج .

* تقول دراسة ظهرت في مجلة « معراخوت » (عدد ٢٠٤ ، رقم ٥٥ ، كانون الثاني/شباط ١٩٧٠) ان ثورة ٣٦ - ١٩٣٩ انتهت بما مجموعه ٤١٥ قتيلاً يهودياً من تجمع يهودي بلغ تعداد افراده وقتذاك ٤٥٠ الف نسمة .